الرؤى السادسة عشر

دندنة على وجه القمر

حنان الهواري

آن الأوان، إني أبدأ من جديد..إني أقتل كل ماضي، إني أعيش مع حد تاني..والألم يرحل بعيد، كل شيء في نظري عادي..مش راح أرجع عن قراري..مش هبقى ليك من العبيد، والقرار هو قراري..

وليد صالح

دندنة على وجه القمر

أحيانًا تخدعنا المظاهر، ننساق خلفها، كما تنجذب الفراشات للنار تبتغي نورًا فيحرقها اللهب.

جلس في منتصف الغرفة، رجل خمسيني، ذو لحية مُشْذَبة، قميص من الحرير الأزرق، مفتوح الأزرار، شعر أسود مع خصلات بيضاء، خمري اللون، جسد رياضي ملامحه جذابة، يأكل بنهم شديد طعامًا فاخرًا على الطاولة، ثم ينظر بطرف عينه إلى السرير المجاور له، حيث فتاة رائعة الجمال، بشرة برونزية، وعيون ساحرة، أهداب طويلة، شعر طويل، غير مشذب، وكأنها كانت في معركة، لا ترتدي إلا قميصًا شفافًا، قد مُزِّق معظمه.

تحاول أن تُلملم أشلاء روحها قبل أن تُلملم ثوبها الممزق، تتدثر بغطاء على حافة السرير، تجره إليها، تتوشح به ثم تتوسد وسادتها، منزوية، تموء كقطة جريحة، قد وقعت فريسة كلب ضارٍ، على وجهها أصباغ قد تبعثرت، نظرة غريبة تعلو قسماتها، مابين ذهول ونفور، تضطرب خلجاتها، تنتحر دمعاتها، ثم تنتفض كنمرة جريحة، تريد أن تنقض عليه، تفترسه، تغرس أظافرها في عنقه وتجتث هذا القلب، تخمش بأظافرها وجهه الزائف، مازال يلوك

طعامه، يفترسه بعد أن افترسها، يلاحظ نظراتها التي تكاد تفتك به، يهمس لها:

ماذا بكِ؟ لماذا تنظرين إليَّ هكذا؟ تتعالى ضحكاتها، ترمقه باشمئزاز قائلة:

أتعجب هل أنت انسان؟!

وماذا أكون شيطان؟

- لست شيطانًا، فالشياطين لا يتلونون مثلك، الشيطان لا يدَّعي الفضيلة كما تفعل أنت.

- إذن وماذا أكون؟

- أنت مسخ، مشوه، ظاهرك إنسان وداخلك ذئب مسعور، أو كما يقولون مستذئب.

- هههههه مستذئب وأنتِ القمر.

_ أنتِ من أخرجتي الذئب من داخلي بهذا الجمال، وهذا الجسد الغض، أعشق رائحة الأجساد الغضة البكر، مازالت ندية كورود الصباح، مولع أنا بكل أنثى، قد تفتحت بواكير أنوثتها، أعذريني فلم أتمالك نفسي أمام جمالكِ، أنتن النعيم أيتها النساء، وأنا أعشق أن أتقلب فيه.

obeikan.com

- ولكن أي رجل أنت؟ كيف تُعاملني هكذا؟ لقد مزقت جسدي وروحي بأنياب حيوانيتك، لم أحبك إلا لحنانك ورقتك ووقارك فأين ذهبوا؟

- حبيبتي هل هناك وقار بين الرجل وزوجته؟

- وهل هكذا يفعل الزوج؟ أين السكن والرحمة؟

ضحك ضحكة أثارتها، لم يكن يهمها الدماء التي تنزف منها، أو الآلام التي تعانيها، بقدر رغبتها في أن ينتهي هذا الكابوس، حتى ولو بموتها، تمنت أن تنزف حتى الموت، ولكن من حقها قبل أن تتسرب روحها من جسدها أن تعرف هذا الرجل، الذي كان يمثل لها صورة للأمان، رغم فارق العمر، إلا أنها رأت فيه فارس أحلامها.

عشِقَتْ وجوده في حياتها، أستاذها الجامعي، الذي لم تَخْفَ عليها نظراته، فقد كانت أنثى بكل معنى الكلمة، عمرها لم يتعد العشرين عامًا، ربط بينهما شيء، ليس الدراسة أو العلم، فقد دبَّت فيه الحياة والشباب وهو على أعتاب الخمسين، أما هي فقد رأت فيه الأمان، الأب الذي فقدته صغيرة، عندما هجر أمها ليتزوج غيرها لأنها لم تُنجب الولد.

الأمان الذي قد تفتقده مع شاب من عمرها، لذلك عندما دعاها لمكتبه واعترف لها بحبه، غمرتها الفرحة كشلال، أغدق

عليها من الحب ومعسول الكلام، جعلها تؤمن أنه رجلها حقًّا، حضن الأمان في الحياة، كانت تتلاشي بين ذراعيه كقطعة سكر في كوب من الماء.

تهيم في دنيا غزلتها لنفسها في أحلام اليقظة، لم يمض سوى شهرين وتم الزواج، وهاهو رجلها الذي تمنته، لم يستطع أن يتحكم في غريزته الحيوانية، وتعامل معها في أول لقاء كدمية في فم كلب، يمزق أشلاءها، ليس هذا فحسب، بل اعترف لها أنه قد تزوج ثلاث مرات قبلها، لأنه يري فيهن الجمال وعطر الأنوثة والشباب، فعندما تذبل إحداهن، يستبدلها بأخرى، أراد أن يعرفها أن مصيرها كمثلها إن لم تظل وردة متفتحة.

أراد أن يذبح لها القطة كما يقولون في المثل، فكر سادٍ مريض، ولكن هيهات أن ترضى بالذل، أن تلحق بدفتر مذكراته كغيرها، ماذا ستفعل؟ لابد أن يعرف أن لما يفعله آخِرًا، وأن نظرته للمرأة على أنها مجرد وجبة أو متاع لابد أن يكون له ثمن، كل هذا كان يدور بخلدها، وهي مازالت تلعق جراحها، ستمزق سرابيله الواهية لتكشف حقيقته، كي لا يحلو له أن يفعل ما يشاء لابد أن تُعطي التلميذة درسًا للأستاذ، سمعت صوت مياه، في الحمام الملحق بحجرة النوم، لملمت بعثرتها، وقامت إلى الحمام الثاني.

اغتسلت وأزالت ما لحق بها من إيذاء، ارتدت ملابس تسترها، تحمل بين طياتها شيئًا تخفيه، تمرق إلى الحجرة، لتجده مُمدًا على السرير، يُرسل إليها ابتسامة هادئة، يُلملم ما سقط من وجهه الزائف، يقترب منها، تزجره، تتملص من بين يديه قائلة:

ابتعد عني وإلا صرخت، أو مزقت وجهك بهذا السكين، ترتدي ملابسها وتنطلق في اتجاه باب الشقة، يلحقها بسرعة قائلًا: أين تذهبين يا مجنونة؟

ترمقه بنظرة تحرقه نيرانها، بكلمات كطلقات الرصاص تقول: لن أعيش معك لحظة واحدة، ولن تمسني ثانية، سأحيا لأغسل عن جسدي هذه اللحظات التي عشتها معك، يقف مشدوهًا لا يقوي على الرد، تفتح الباب، يُناديها: ارجعي يا نورا، إطوي هذه الصفحة، لن يتكرر ما حدث، ترمقه بنظرة كآخر ما يجمعها به في هذا المنزل: لن أعود.

يتمتم هازئًا: ستعودين، ستُرجعكِ أمكِ بنفسها، كانت قد أغلقت الباب خلفها وتركته، وصوته يطاردها، في هزيع الليل الأخير، تمضي شريدة، تُلملم بقايا كبريائها، ما بين خجل ووجل.

طرقات واهنة على الباب، يتلقفها صدر أمها، تلملم ما تشرذم من روحها، حشرجة وبكاء مكتوم، ثم ما تلبث أن تهدأ

كطفل وتغفو، في الصباح، تدخل أمها تجد، عينيها شاخصتين، تقترب منها، سارحتين بعيدًا، تُقبِّل جبينها وتجلس بجوارها:

حبيبتي أنا معكِ، ماذا حدث؟ لقد أخبرني زوجكِ، أنه لم يحدث شيء، وأنكِ قد هددتيه بقتل نفسكِ، فتركتكِ حتى تهدأي، دموع تنزف على خديها، ومازالت تحملق في اللاشيء يترائى لها فيه ما حدث لها، مع هذا الرجل الذي يُسمى زوجها.

تتحسس جسدها الذي أُنتهك، وروحها التي أُغتصبت مع براءتها، وتبكي دون توقف، الأم تجلس في الصالة، لم يُغمِض لها جفن قلقًا عليها.

تخرج نورا، مرتدية ملابس الخروج، يتهلل وجه الأم من السعادة، قائلة: الحمد لله حبيبتي كنت أعرف أنكِ عاقلة، ده الناس اللي حضروا الفرح، لسه نايمين، استني هاجي أوصلك أو أكلمه ييجي ياخذك، هو قالي إنه مستنيكِ، تُشير لأمها أن تجلس، تُتمتم بصوت ضعيف مكسور: لا تقلقي يا أمي سأكون بخير، تخرج من باب الشقة.

تهرع أمها إلى التليفون تتمتم بفرح: متقلقش، هتلاقيها داخلة عليك دلوقتي، دي صغيرة حاول تتعامل معاها بهدوء واستحملها.

يجلس بانتظارها، يُهندم ملابسه، يجلس مُنتشيًا، في انتظار

طرقاتها المُرتقبة، يسمع طرقات على باب الشقة، يُرتب ملابسه ويتقدم للباب تعلو وجهه ابتسامة سرعان ما تزول عندما يجد أن الطارق لم يكن هي، وإنما صديقاتها جئن لتهنئتها بالزواج، كان بينهن اتفاق أن يزرنها ولو لدقائق، في اليوم التالي لزواجها، من باب الدعابة، فقد كن يحسدنها على هذه الزيجة، أطرق واجمًا يحدث نفسه:

ما الذي أتي بكن؟ وماذا سوف أقول؟ خرج الكلام ثقيلًا وهو يتمتم: نورا ليست موجودة، ستجدنها في بيت والدتها، احتلت علامات الدهشة بدلًا من الفرحة وجوه رفيقاتها الثلاثة، لم ينبسن ببنت شفة.

استدرن، غادرن تنظر إحداهن للأخرى، تقول العيون والوجوه ما لا تنطق به الشفاه، توجهن لوالدتها، لكنها ليست موجودة، ماتت أمها قلقًا عندما علمت أنهن كن في منزل نورا وأنها لم تصل للمنزل، تليفونها مغلق، ولا خبر عنها.

الأم تبكي ملهوفة، تتصل بكل من يعرفها، وصديقاتها كذلك، الكل يسأل أين ذهبت نورا؟ وماذا حدث لتترك بيتها في ليلة عرسها؟ أما هو فقد أغلق تليفونه، من كثرة الأسئلة؟ ماذا حدث؟ وأين هي؟

ظل شاردًا، هو يعرف ما حدث، فقد نسي نفسه واعتقد أنه

ملكها بالزواج، يستطيع أن يلهو بها، بل ويخبرها بماضيه القذر، فقد دخلت مصيدته، فلن تستطيع الإفلات سوف يُمكِّنه منها أقرب الناس إليها، سوف يجلدها المجتمع بسياط الذنب لتعود إليه، ولكن انقلب السحر على الساحر اختفت نورا في ليلة عرسها، والكل يُحمَّله المسئولية.

أراد أن يكسرها فكسرته، شعر بالوهن والضعف، لم يعد يستطيع الخروج للشارع أو للعمل، سياط الأعين والألسنة تلاحقه، أو هكذا يظن، أما نورا فقد أقامت عند إحدي صديقاتها لعدة أيام، وألزمتها ألا تخبر أحدًا، إلا رسالة لأمها على التليفون (أمي لا تقلقي أنا بخير).

ولكن كيف تهدأ الأم وكيف يرتاح لها جفن، بعد أيام قلائل، طرقات على باب الزوج، أراد أن يُغفلها ولكن تزايدت، يد خشنة تطرق الباب بعنف، يفتح غاضبًا يريد أن يفتك بالطارق قبل أن ينطق، يَقْدُمُ له رجل يحمل ورقة لتوقيعها، ينظر إلى الرجل وإلى الورقة، لا يصدق ما يقرأ "دعوي خلع" .

تمت بحمد الله

obeikan.com

حنان الهواري

– درست بكلية الآداب قسم اللغة العربية، أعمل كمعلمة.

– أحلامي المستقبلية، أن يكون لي بصمة في عالم الكتابة، عين ترصد، ولسان يُترجم حال النساء العربيات، لأحقق هدفًا أصبو إليه، وهو سفيرة للمرأة في الأوساط الأدبية.

– قرأت / لديستوفسكي "الليالي البيضاء"، ولأنيس منصور "أرواح وأشباح"، و"الفقراء"، وغيرها الكثير.

– أعشق كتابات السباعي، الرافعي، ومن الجيل الحالي أحمد خالد توفيق، خالد الجندي، وأقرأ لكل الكتاب الموجودين على الساحة حاليًا ممن أجد لهم ما يسترعي انتباهي.

– لي مجموعة قصصية بعنوان "عندما غاب الشيطان"، نُشرت إلكترونيًّا، وقصتان وهما Pdf "حبل المقصلة" و"للموت أشكال أخرى".

– قصتان للنشر الورقي في معرض الكتاب هذا العام، في كتابين جماعيين بعنوان "تنهيدة قلم" و"خارج إطار المألوف"

للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي"فيس بوك":

https://www.facebook.com/profile.php?id=100014207341544